التربية العربية أمام تحدّيات العصر

الدكتور عبدالله عبدالدائم

الحضارة الإنسانية في محنة، والنظام الاقتصادي والاجتماعي العالمي في أزمة تشرف على الانفجار، والوطن العربي - ذو الرسالة العربية والإنسانية - يشكو من دائه وداء العالم من حوله.

مشارف القرن الحادي والعشرين لا تحمل له، كما لا تحمل لسواه، وعوداً خيّرة، بل تنذر بسوء العاقبة، ان لم يجهد ويجهد سواه من أجل خلق عالم جديد.

هل تقوى الحضارة العربية، بما فيها من قيم ومثل وطاقات مادية وروحية، على الاسهام في خلق ذلك العالم الجديد؟ وهل تفلح، من أجل ذلك، في توليد طريقها الحضاري الخاص، وفي التحريض على ولادة طريق حضاري عالمي جديد؟

وأين تقع التربية العربية من هذا كله؟ وما هي معالمها المنشودة ان ارادت أن يكون لها في صنع هذا المستقبل العربي والإنساني بلاء وشأن؟

ذلكم هو السؤال الكبير الذي نطرحه بادىء ذي بداءة والذي نحاول أن نجد بعض الجواب عليه في هذا الحديث.

ونحن إذ نفعل ذلك ننطلق من حقائق أساسية لا بد من توكيدها منذ البداية:

أولها أن التربية العربية لا بد أن تكون جزءاً لا يتجزأ من نظرية عربية شاملة في التنمية عامة، وأن الفصل بين آفاق التربية وبين آفاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية جملة فصل يؤدي الى تردّي كلتيهما.

وثانيها أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة للبلدان العربية، وفي القلب منها تقع التنمية التربوية، لا بد أن يكون مهادها وقوامها نظرة عربية حضارية خاصة وفلسفة اجتماعية أصيلة، منها تسقي التنمية العربية معناها وأهدافها ومن خلالها ترسم سبلها ووسائلها.

وثالثها أن هذه النظرة العربية الحضارية الخاصة لا بد أن تبنى في اطار تصور محدث للحضارة العالمية جمعاء.

وفوق هذه الحقائق كلها تنهض حقيقة راسخة وهي أن العرب - بما يملكون من تراث ومن تطلعات - لن يقبلوا أن يكونوا مجرد أتباع لحضارة عالمية تملى عليهم ولعالم يصاغ لهم، وأن من حقهم وواجبهم أن يكون لهم في صنع مستقبلهم ومستقبل الإنسانية نصيب. لقد كانت رسالتهم دوماً، وستظل، رسالة إنسانية شاملة، ومن التفريط بها ومن التفريط في مسيرة الإنسانية أن يحجب عطاؤها وأن يحرموا ويحرم العالم من تراثها. ومما يمنح لهذا الدور العربي كامل معناه، ويجعل من جهده لتوليد صيغة حضارية جديدة مطلباً عملياً وواقعياً، الى جانب كونه رسالة ومثلا اعلى، أن التجربة العالمية كادت تخفق، وأنها تقود الإنسانية كلها نحو مصير مجهول بل مرذول، وأن الصيحة من أجل تصحيح المسيرة وتقويم الدرب غدت صيحة الجمهرة الكبرى من مفكري الإنسانية والمنظرين لها.

لنبدأ اذن بالازمة فهي التي تومىء الى الداء وتحدد قسمات الحل المنشود.

١ - الأزمة العالمية

لقد قيل الكثير وكتب ما هو أكثر عن الأزمة التي تعصف بعالمنا اليوم. وليس هدفنا في مثل هذا الحديث القصير ان نقدم وصفاً شاملاً لها وأن نأتي بالشواهد والأرقام التي تفصح عنها.

وحسبنا ان نقول موجزين ان تلك الشواهد والارقام تجمع على أن الإنسانية في شمالها وجنوبها كما يقال اليوم - لم تعرف في حين من الدهر - أزمة مستطيرة كالأزمة التي تشكو منها اليوم، والتي سوف تكون أدهى وأمر في العقود القادمة ان لم تقم جهود جادة من أجل تجاوزها، يشترك فيها ابناؤها جميعهم.

وقد يضلل الانظار عن هذه الحقيقة أن هذه الأزمة الخطيرة تجأر وتبزغ في فترة وصل فيها العالم - والعالم المتقدم خاصة - الى مستويات من التقدم العلمي والتكنولوجي لم يعرف لها نظيراً من قبل.

أما الحديث عن أمائر هذه الأزمة المتصلة بالهوة القائمة والمتزايدة بين الدول المتقدمة والدول النامية أو المتخلفة، فحديث مكرور، نجتزىء منه بعض الشواهد القليلة ونكتفي بعرضها عرضاً موجزاً بل مخلا من خلال لغة أشبه بلغة البرقيات:

لا نغلو إذا وصفنا النظام العالمي بنظام الفاقة والبؤس، ما دام ثلاثة أرباع سكان المعمورة ما يزالون يعانون من صروف التخلف الوانا، وما داموا لا يجنون أكثر من ٣,٥٪ من الدخل العالمي.

ان ما يسمى باسم العالم الثالث يملك ٨٠٪ من المواد الاولية في العالم، ومع ذلك لا يتجاوز نصيبه من الإنتاج الصناعي الاجالي ٧٪ بينا تستهلك الولايات المتحدة، التي لا يعدو سكانها ٦٪ من سكان الأرض ٥٠٪ من الثروات الطبيعية العالمية.

لقد بيّنت دراسات منظمة الزراعة العالمية أن ١٥٪ من سكان الأرض يتوافر لهم من الغذاء ما يفيض عن الحاجة، ويعيشون في المشتى ملء بطونهم كما يقول الشاعر العربي، بينا يموت ١٠٪ من سكان المعمورة بسبب نقص التغذية، وثمة واحد من بين ستة أشخاص في العالم يشكو من نقص الغذاء، وتشير التنبؤات الى أن هذه النسبة سوف تصبح عام ٢٠٠٠ خمسة من ستة أشخاص، إذا ما استمرت الأمور على ما هي عليه.

وبهذا الصدد صاحت السيدة «سوزان جورج» قائلة: «إذا كانت قراءة كتابي الجديد سوف تستغرق ست ساعات من وقتك، فاعلم أنك عندما تقلب الصفحة الأخيرة منه، يكون الموت قد قضى على ٢٥٠٠ شخص في مكان ما في العالم بسبب الجوع أو بسبب مرض ناجم عن الجوع».

ويطيب لبعض الكتّاب أن يقولوا في سخرية مريرة إن غذاء الحيوان في البلدان الغنيّة مقدّم على غذاء الإنسان في البلدان المتخلفة، وان حيوانات تلك البلدان تستهلك ربع الإنتاج العالمي من الحبوب. بل ان إنتاج الصناعة الغذائية الخاصة بالكلاب في الولايات المتحدة يمثل تقريباً بالنسبة الى الكلب الواحد ما يقارب الدخل المتوسط للفرد في البلدان المتخلفة.

وتبيّن الاحصاءات التي قدّمتها منظمة اليونيسيف أن ٣٠ مليون طفل ممن تقل أعمارهم عن ٥ سنوات لقوا حتفهم عام ١٩٧٨ بسبب نقص الغذاء. ومع ذلك دُعي عام ١٩٧٩ باسم «عام الطفل»!

ولا حاجة الى القول إن ما ينفق سنويا على التسلح في العالم يداني اليوم ٥٠٠ مليار دولار، بينا لا يتجاوز العون الرسمي الذي يقدم للبلدان المتخلفة كلها ٥٪ من هذا الرقم. بل لا حاجة الى القول ان ثمن طائرة حربية (وهو ثمن يقارب ٢٠ مليون دولار) يكفي لاشادة اربعين ألف صيدلية في المناطق الريفية التي تئن من المرض، وان توفير ٠,٥٪ من نفقات التسلح في العالم قمين بأن يمكن البلدان المتخلفة من شراء سائر المعدات الزراعية اللازمة لرفع الإنتاج الغذائي والتغلب على مشكلة الغذاء العالمي.

هذا طرف يسير من الشواهد التي تشير الى الهوة المتزايدة بين العالم المتقدم والعالم المتخلف، والتي تبيّن أنّ عالمنا ما يزال مجعولاً الى حد كبير للأغنياء من دون الفقراء، وللدول المتقدمة من دون النامية والمتخلفة. والنبوءات المتصلة بحال العالم في مطلع القرن الجديد أفصح قيلا وأعمق تشاؤماً، لا سيا أن نسبة سكان البلدان المتخلفة الى سكان البلدان المتقدمة آخذ بالازدياد المطرد، لأسباب كثيرة ننسى غالباً أهمها: وهو أن التناسل الكبير في البلدان المتخلفة ليس سبباً في الفقر والتخلف وانما هو نتيجة لها، وان الحد من التناسل سبيله الوحيد رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي والتربوي خاصة في تلك البلدان.

على ان معالم الازمة العالمية ليست مقصورة على هذا الجانب وحده، نعني هوّة التخلف، بل هي معالم شاملة تصيب البلدان المتقدمة نفسها وتمس النظام العالمي في البلدان المتطورة تكنولوجياً. وهذا في نظرنا أجدر بأن يُنْعَم النظر فيه، وهو أفصح دلالة على عمق الازمة التي تعصف بالعالم كله.

ذلكم أن بنية الحياة في هذه البلدان المتقدّمة نفسها، أخذت تبدو، كما أجمعت الدراسات العديدة، بنيةً مريضة تقود الإنسان الى حيث لا يدري، وتجعله يحيا في عالم يكاد يخرج عن سلطانه، ويتجاوز مشيئته وطموحاته. وجملة ما يُقال اليوم في هذه الحضارة التي أفرزها التقدم العلمي والتكنولوجي انها حضارة جعلت الإنسان أكثر تقدماً ولكنها لم تجعله بحال من الأحوال أكثر سعادة وانها تحمل في ثناياها بذور مَرَضها بل فنائها.

لقد كان الناس حتى حين فخورين بحضارة تشمخ بما حققته من مكاسب علمية وتكنولوجية لم يعرفها الإنسان من قبل. غير أنهم ما لبثوا حتى أدركوا أن هذا النموذج الحضاري الذي انساقوا إليه دون تبصّر وتحسّب، يدفعون ثمنه غالياً، وأنه ادى ويؤدي يوماً بعد يوم الى توليد مشكلات حياتية وإنسانية عميقة: من مثل مشكلات البيئة وتلوّثها وفسادها، ومشكلات الطاقة وقصورها، ومشكلات التحضر السريع وولادة المدن الكبيرة المهلهلة والمرهقة، ومشكلات العنف وتزايده، والتسلح وأخطاره، والمفاعلات النووية وأخطارها على البيئة والإنسان، وتآكل التربة وانتشار الصحراء، والبطالة المتزايدة، ونقص الغذاء، وتقصير المساكن عن الحاجة، وسوى ذلك كثير، هذا فضلا عما هو أدهى وأخطر، نعني تدهور القيم الإنسانية والخلقية، وتزايد المشكلات النفسية، وتفكك الاسرة وانحلالها، وذوبان الثقافات القومية، وتزايد العداء بين الأفراد والشعوب في حمأة السباق على الاستهلاك الباطل والدعة الموهومة، الى غير ذلك.

وفي الجملة، لقد انقلب السحر على الساحر، فإذا بالحضارة التي خُلقت من أجل الإنسان تُخضع الإنسان لعنفوانها، وإذا بالمارد الذي انطلق، مارد العلم والتكنولوجيا، يستعبد صاحبه ومبدعه، حتى ليصح قول الصوفي ابن العربي في نصوصه:

فأنت عبد وأنت ربٌّ لمن له أنت عبدُ

ولنضرب مثالا واحداً على مشكلة من هذه المشكلات، والامثلة أكثر من أن تحصى:

تشير بعض الاحصاءات الى أن الإنسان يقضي كل دقيقة

على عشرين هكتاراً من الغابات في العالم. ولا عجب، فالورق اللازم لطباعة العدد الاسبوعي من جريدة النيويورك تايمز، وهو عدد يخصص حوالى ٨٠٪ منه للاعلانات، يستلزم تقويض ١٥ هكتاراً من غابات كندا، والعدد اليومي الذي تصدره الجريدة نفسها يتطلب الاطاحة بستة هكتارات.

السؤال الاساسي الذي يُطرح اليوم اذن هو السؤال الآتي: هل تقوى الإنسانية على الامساك بأعنّة مصيرها وزمام قَدَرها، أم أن الاحداث والازمات هي التي ستقودها وتصوغ مستقبلها؟

٢ - طبيعة الازمة وحلولها:

وههنا نخف الى القول إن جانباً كبيراً من أزمة البلدان المتقدمة مردّه الى الإحجام عن إدراك الصلة العضوية بين هذه الأزمة وأزمة البلدان المتخلفة والنامية. فالعالم المتقدم - رغم مآسيه المتعددة ورغم وصوله إلى طريق يكاد يكون مسدوداً - يحاول أن يصرف بصره عن حقيقة أساسية: وهي أن حل مشكلات العالم المتقدم ومشكلات العالم المتخلف معاً لا يكون الا بخلق نظام عالمي مشترك، متوازن المصالح، متضامن الاهداف. ان القيام بجهد عالمي مبتكر تسهم فيه بلدان العالم جميعها من أجل تجاوز النظام القائم، هو الطريق الوحيد للتغلب على أزمة العالم في شمالها وجنوبها. ومن عجب أن البلدان المتقدمة لم تدرك أو لا تحاول أن تدرك أن تنمية العالم الثالث هي التي تؤدي الى حل الازمات الاقتصادية التي يشكو منها العالم المتقدم نفسه، وهي التي تفتح آفاقاً جديدة لتوظيف الطاقات العلمية والتكنولوجية التي يملكها، ولتوسيع رقعة نشاط ثرواته المادية والبشرية. وكما يقول التقرير الحديث الذي وضعته لجنة برئاسة «ولي برانت» مستشار ألمانيا الاتحادية سابقاً: انا نعي اليوم بأن التنمية السريعة للجنوب (يعني العالم الثالث) تخدم أيضاً مصالح شعوب الشمال». ان الغرب، اذا كان يرغب في أن تكون له حصة وافية من قطعة الحلوى العالمية، لا بد ان يحرص على جعلها أكبر مما هي عليه الان، عن طريق اشراك العالم الثالث في تنميتها.

وكيما ندرك طبيعة العلاقة العضوية بين تنمية العالم المتقدم وتنمية العالم المتخلف لنعد قليلاً الى وراء، الى تاريخ تطور الحضارة الغربية:

كلنا يعلم أن الانطلاقة الصناعية الكبرى في الغرب خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قد تمّت على حساب استغلال الثروات الطبيعية لبلدان العالم الثالث التي كانت مُستعمرةً آنذاك.

بل كلُّنا يعلم، وهذا أفصح وأبين، بأن استغلال الموارد البترولية لبلدان العالم الثالث بأرخص الاثمان حتى أوائل السبعينات، هو الذي حقّق للغرب هذا النمو الاقتصادي الكبير الذي ولّد مجتمع الاستهلاك. وكما يقول: «جان جاك سرفان شريير» في كتابه الجديد عن «التحدي العالمي»: «ان البترول الرخيص ومليارات البراميل المستخرجة منه والتي تم شراؤها بثمن بخس وباسعار لم تتغير خلال الخمسينات والستينات وبداية السبعينات، هي التي موّلت تمويلاً كاملاً انطلاقة المجتمعات الصناعية في اوروبا وأمريكا» لقد ظل سعر البترول ثابتاً خلال ما يقرب من سبعين عاماً، وبيع بأقل من دولارين للباريل الواحد. فبين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٥٠ ارتفع سعره فقط من ١,٢٠ دولار الى ١,٧٠ دولار. ومن عام ١٩٥٠ الى ١٩٧٠ ظل ثابتاً في مكانه، إذ بيع بـ ١,٨٠ دولار. الأمر الذي يبيح لنا ان نسائل مع «شريير» نفسه: ما هو مجتمع الاستهلاك ان لم يكن مجتمع البترول الزهيد الثمن، المبذول للغرب في سخاء؟ بل من حقنا أن نقول معه: ان تفسير هذه المغامرة الجنونية التي قادت الغرب، دون ما تردد أو تفكير إلى ان يصبح مستعمرة من مستعمرات البترول، هو أن هذا البترول ظل خلال سنوات طويلة مجانياً إلى حد كبير.

واليوم، بعد أن تغيرت بنية العالم، وبعد أن استقلت بلدان العالم الثالث، يصحو الغرب من سكرته ويدرك أن الثروات الطبيعية في العالم الثالث، وأهمها الثروات البترولية، لا يمكن أن تكون نهباً له وان تظل مسخّرة لخدمة نظام استهلاكي لا هدف له الا المزيد من الاستهلاك، ولا هم له الا اذكاء الحاجة الى الاستهلاك لدى الناس واثارة نهمهم، لا لشيء الا ليستمر مجتمع الاستهلاك في مسيرته ويسعد القلّة من المنتفعين منه.

إنّ الحديث في هذا الشأن ذو شجون، وهيهات أن نوفيه بعض حقه في مثل هذا المقام. وآية هذا كله أن العالم في أزمة، وأن مرد هذه الأزمة إلى عناد الدول المتقدمة واصرارها على أن تعيش الماضي لا الحاضر والمستقبل، وإلى ضعف ادراكها للمتغيرات الجديدة التي حدثت في العالم والتي تدعو الى خلق نظام عالمي جديد، وأهم ما فيه أن يكون محولاً للعالم كله، وأن يكون محوره تنمية العالم الثالث.

٣ - دور العرب:

وحتى يحين ذلك اليوم الموعود، بل من أجل أن يحين، يتوجب على الدول النامية، وعلى رأسها الدول العربية، أن تدلي بدلوها بدلاً من أن تقف متفرجة، وأن تقتحم الميدان صارخة متحدّية لا مستخذية ضعيفة، وأن تكون بالتالي بمثابة الخميرة التي تدفع الى توليد العهد الجديد. لا سيا أن الدول العربية تملك في هذه الحلبة ورقة أساسية، يرجى أن تسخرها من أجل خيرها وخير الإنسانية، نعني ورقة البترول. بل هي تملك ما هو أثمن وأغلى من تلك الورقة، نعني قيم تراثها العربي الإسلامي الأصيل التي تقف اليوم من جديد شامخة عزيزة أمام افلاس الايديولوجيات العالمية في الشرق والغرب.

ومما يدعو الى الالم أن هذه البلدان العربية لم تدرك بعد حق الادراك مواطن القوة عندها، ولم تع حق الوعي دورها العربي والعالمي، بل ما زالت الى حد بعيد تسير على وجل

واستحياء، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، تلهث وراء الحضارة الغربية دون ان تضعها في موضعها الصحيح، تصطنعها حيناً وتنكرها حيناً آخر، وتمتاح منها نمط حياتها غالباً، دون أن تضع ذلك النمط موضع التساؤل كما فعل أبناء الحضارة الغربية أنفسهم.

ويزيد ضغثاً على إبّالة، أن البلدان العربية، على إمكاناتها وطاقاتها المادية والبشرية، تواجه، كما يواجه العالم من حولها، منعطفاً هاماً في حياتها، وأنها في أمسّ الحاجة إلى استثمار تلك الإمكانات والطاقات أمثل استثمار ممكن، كيما تواجه الظروف العالمية والعربية العسيرة، وكيما تعدّ نفسها خاصة لعصر ما بعد النفط.

ويكفي أن نذكر عابرين أن النتاج القومي الإجمالي لهذه البلدان العربية مجتمعة، رغم ما توصف به وما توصم به من غنى، لا يتجاوز ٢٥٪ من النتاج القومي الإجمالي لليابان و٩٪ من النتاج الإجمالي للولايات المتحدة و١١٪ من النتاج الإجمالي لدول السوق الأوروبية المشتركة.

بل إن معدل النتاج الإجمالي للفرد العربي الواحد، إذا استثنينا نتاج البترول، من أضعف المعدلات في العالم، مما حمل كاتباً مثل «موريس غيرنييه» على أن يقول في كتابه الهام «الفرصة الأخيرة للعالم الثالث»: «رغم الغنى الظاهري الذي نجده في البلدان العربية والذي يذكرنا بأجواء ألف ليلة وليلة، فإن مستقبل الشعب العربي يمكن أن يكون أبعث على اليأس من مستقبل شعوب جنوبي آسيا، ذلك المستقبل الذي يعتبر بحق مستقبلاً مأساوياً.

حسبنا أن نذكر كذلك عابرين أن نيفاً وعشرين مليون شخص يشكون من سوء التغذية في البلدان العربية، وأن هذه البلدان التي يقدر سكانها عام ألفين بحوالى ٢٨٥ مليون نسمة سوف تحتاج في ذلك الحين إلى استيراد ما يقرب من نصف حاجتها من القمح والحبوب.

ولا حاجة الى القول إن أهم سبل تجاوز هذه الأزمة التي تعاني منها البلدان العربية، التضامن والتعاون فيما بينها، واستخدام ثرواتها المالية والبشرية مجتمعة من أجل توليد تنمية ذاتية تفيد منها المنطقة بكاملها، وتعدّ العدة للفترة التالية على نفاد البترول، وهي منا قريب. ومن فضل الكلام أن نقول إن تحديث المجتمعات العربية في إطار هذه التنمية الذاتية الشاملة، وتحديث المجتمعات النفطية خاصة، لا ينبغي أن يتم، كما يجري غالباً، عن طريق نقل التكنولوجيا كما تنقل أي سلعة، بل ينبغي أن يتم عن طريق توفير الشروط اللازمة لاكتساب التكنولوجيا واستيعابها وهضمها وابتكارها.

إن هذا كله يُبرز أهمية توليد رؤية عربية أصيلة تقدم الحلول السليمة لمشكلات البلاد العربية وتسهم في علاج مشكلات العالم من ورائها. فما هي السبل إلى توليد هذه الرؤية؟

الإجابة على هذا السؤال الضخم الواسع عديدة الجنبات. غير ان أهم ما فيها الربط الوثيق بين معالجة مشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومشكلات تنمية الثروة البشرية. بل إن تنمية الثروة البشرية تقع في القلب منها، وبدونها لن يكون العلاج إلا سطحياً زائفاً عابراً. وفوق هذا وذاك، لا علاج للازمة العالمية بتمامها إلا عن طريق تجويد الإنسان وتجويد تكوينه والارتفاع بطاقاته الخلاقة المبدعة. ان وضع الإنسان في مركز الاهتمامات العالمية هو السبيل لتجاوز أزمة العالم وقلب الوضع العالمي المنحرف عن مجراه. ولعل المسألة في العالم كله لم تعد مسألة الهوة التكنولوجية بل مسألة الهوة الإنسانية، ونعني بها الهوة القائمة بين نظام اقتصادي اجتماعي معقد تائه وبين قدرتنا على السيطرة عليه.

٤ - دور التربية العربية:

ومن هنا يبرز دور التربية العربية في خلق الحضارة العربية المنشودة وفي الاسهام في بناء حضارة عالمية جديدة.

ولن نقدم هنا عرضاً مفصلاً لواقع التربية في البلدان العربية ولمشكلاتها، فمثل هذا العرض تمتلىء به المؤلفات والدراسات. وحسبنا من ذلك كله أن نشير الى جانبين، قمينين عندنا بأن يقدما بعض الجواب على المسألة الاساسية التي ما ننى نكررها، نعني مسألة توليد نظرية حضارية عربية، جديرة بأبنائها، مسهمة في بناء العالم.

أما الجانب الأول فيتصل بالنمو الكمي للتربية في البلاد العربية، وأما الثاني فيتصل بالنمو النوعي الكيفي. ولنبدأ بأولها:

كلنا يعلم ان التربية في البلاد العربية جلة حققت نمواً كمياً كبيراً، ولا سيما خلال الستينات والسبعينات. ويكفي أن نذكر أن عدد الطلاب بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٨٠ قد ازداد ثلاث مرات في التعليم الابتدائي ووصلت نسبته الى ٦٣٪ من الطلاب الذين في سن ذلك التعليم، وأنه تضاعف ست مرات في التعليم الثانوي ووصلت نسبته الى ٣٦٪ ممن هم في سنه، وأنه تضاعف ثماني مرات في التعليم العالي ووصلت نسبته الى ٧٪ ممن هم في سن ذلك التعليم. أما نسبة الامية لدى السكان دون الخامسة عشرة فقد هبطت من ٨٠٪ عام ١٩٦٠ الى ٦٩٪ عام ١٩٨٠.

ومع ذلك فما تزال هنالك أشواط كبيرة يتوجب على التعليم في البلدان العربية أن يقطعها، إذا هو طمح الى تعميم التعليم الابتدائي بل المتوسط، وإذا هو عزم على التوسع في التعليم الثانوي والعالي توسعاً كافياً، وإذا هو شدّ الرحال نحو مكافحة الامية التي ما تزال مستشرية، فضلاً عن التوسع في التعليم السابق على المرحلة الابتدائية الذي ما يزال هزيلاً والتوسع في التعليم المهني والفني الذي ما يزال مقصراً عن الشأو المطلوب.

وهنا تبرز المشكلة: ان هذا التوسع المطلوب شاق وعسير، تقصر عنه الامكانات المالية والبشرية للدول العربية، بما في ذلك الدول البترولية نفسها حيث ينافس التوسع في التعليم التوسع

الضروري اللازم في سائر مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وحسبنا أن نذكر، برهاناً على ذلك، أن البلدان العربية اليوم تخصص ما يقرب من ٢٠ - ٢٥٪ في المتوسط من ميزانيتها للتربية، وتخصص لها ما يزيد على ٦٪ من الناتج القومي العام.

ولا شك أن جانباً من حل هذه الازمة التربوية يكمن في التعاون العربي الشامل، وهو تعاون قائم على صور مختلفة، ويرجى أن يتسع ويعزز. على أن هذا الجهد العربي المشترك لا يكفي ولا يجدى إلا إذا انطلق من شعار أساسي: هو توليد نظم تربوية قادرة على أن تحقق أمثل استخدام ممكن للموارد المالية والبشرية المتاحة، أي قادرة على أن تقدم تعليماً أفضل لعدد أكبر من الطلاب بالإمكانات المتوافرة نفسها.

ان مثل هذا المطلب الجوهري لا يتحقق إلا من خلال تغيير شامل في أهداف التربية وبنيتها ومحتواها وطرائقها وادارتها والتخطيط لها، بحيث تولد تقنيات جديدة قادرة على زيادة المردود الإجمالي للعملية التربوية، أي قادرة على الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة كما قلنا ونقول. ومن المكرور أن نقول ان البديل الوحيد دوماً وأبدا عن نقص الموارد الطبيعية والمالية توظيف العقل الإنساني والذكاء الإنساني والابتكار الانساني من أجل حسن استخدام تلك الموارد أو من أجل ابتداع سواها. ولا حاجة بنا الى تعداد التقنيات التربوية الجديدة القمينة بأن تبلغنا هذه الغاية، فالأدب التربوي العربي والعالمي طافح بالإشارة اليها. انها على سبيل المثال لا الحصر: تغيير اطار التربية التقليدي الذي كاد يصبح أزلياً أبدياً، اطار الصف المحدود الذي يضم عدداً محدوداً من الطلاب يعلمهم معلم، التعليم عن بُعد، القضاء على الهدر والتسرب، تخفيض كلفة الابنية المدرسية، اسهام الجماعات المحلية في بناء المدارس وتمويل التربية، اللجوء الى المدرسة ذات المعلم الوحيد، اللجوء الى المدرسة بلا صفوف، التعليم عن طريق « فريق من المعلمين »، التعليم الذاتي، الخ...

على أن ما يعنينا من هذا كله هو أن تحليل الجانب الكمي للتربية في البلدان العربية يقودنا حتماً، كما نرى، الى التأكيد على أهمية الجانب الكيفي النوعي، فتجويد الكيف والنوع، فضلاً عن قيمته في ذاته، هو السبيل الى التغلب على مشكلات الكم.

سوى أن للجانب النوعي بعداً آخر هاماً هو الذي نود أن نتريث عنده لارتباطه الوثيق بالمسألة التي طرحناها، مسألة الرؤية العربية للحضارة. ذلك أن المقياس الاساسي عندنا للجودة النوعية في التربية، قدرتها على الاسهام في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي في خلق الانسان العربي المرجو من أجل توليد حضارة عربية أصيلة متقدمة.

ولن يقنعنا في هذا المجال أن نعيد حديثاً غدا مكروراً فنقول ان مثل هذا الاسهام للتربية في التنمية الشاملة للمجتمع يكون اولاً وقبل كل شيء بالتوسع في التعليم المهني والفني ويجعل التعليم موجهاً نحو العمل المثمر والإنتاج المجزىء. وفي رأينا أن المسألة تتجاوز هذا الهدف على أهميته وأنها أعمق منه وأبعد. المسألة كلها عندنا تتلخص في جملة واحدة: كيف نجعل التربية عندنا - في شتى أنواعها وأشكالها - أداة للاسهام في ابداع الحضارة بدلاً من الاكتفاء باستهلاكها دون روية أو تبصر.

وتلكم مسألة فيها مسائل:

١ - أولها أن نتساءل هل يقوى التعليم العلمي والمهني والفني في مراحله المختلفة في بلادنا على أن يكوّن فعلاً مبدعين للعلوم والفنون والتكنولوجيا، أم أنه لا يعدو أن يكون أتباعاً ثانويين لتقدم علمي وتكنولوجي ليس لنا يد في خلقه؟

٢ - وثانيها أن نتساءل من وراء ذلك وفوق ذلك هل الهدف الصحيح والسبيل الأمم أن نعنى خاصة بتطوير التعليم العلمي والفني والتكنولوجي، أم أن الهدف فوق هذا وقبل هذا أن نكوّن الإنسان المبدع الخلاق في شتى فنون المعرفة البشرية، وعلى رأسها العلوم الإنسانية؟ هل صحيح أننا نحتاج الى فنيين ومهنيين دون ما حاجة الى علماء في ميدان علم الاجتماع وعلم السياسة والتاريخ والتربية والتراث العربي الإسلامي وسواها من العلوم التي تمس حياة مجتمعاتنا في صميمها؟

الحق أن ما نحتاج اليه هو الابداع والاصالة في شتى مجالات المعرفة الإنسانية، فنيّها وانسانيّها، وأننا في هذه كلها ما نزال نعيش على فتات الغرب وعلى موائده. أو ليس مما يجأر أمام الاعين أن أفضل الدراسات عن تراثنا العربي الإسلامي نفسه نسقيها من الغرب؟ أو ليس مما يبقينا في مرحلة العجز أننا نتحدث عن مجتمع عربي لا نعرفه وعن انسان عربي لا نعرفه؟

على أننا حين نؤكد أهمية التربية القادرة على الابداع والعطاء في شتى المجالات ولا سيما مجالات العلوم الإنسانية، نفعل ذلك انطلاقاً من أمور عديدة:

الأول أن الابداع كل لا يتجزأ، وأن من غير الصحيح القول ان المتخلف في مجال العلوم الإنسانية يمكن أن يكون متقدماً في مجال العلوم الفنية والتكنولوجية والعكس صحيح.

والثاني أن الفضل الاكبر لحضارتنا العربية الإسلامية في أوج ازدهارها أنها جمعت جمعاً وثيقاً بين العلوم الفنية التطبيقية وبين العلوم الإنسانية وخلقت بذلك ما يدعوه فانتيجو « المعجزة العربية ».

والثالث أن أزمة الحضارة العالمية، كما ذكرنا، أزمة إنسانية أولاً وقبل كل شيء، ولن نستطيع أن نسهم بدورنا في تصويبها إلا إذا جعلنا اهتمامنا بالإنسان محور فلسفتنا التربوية.

والرابع وهو الأهم، أن أي حضارة لا يمكن أن تتكون وأن تبدع الا إذا أدركت أولا ذاتها ووعت خصائصها، وبذلك تصبح قادرة على توليد ثقافة ذاتية أصيلة. ومشكلة المشكلات في حياتنا العربية أننا معروضون لهجمات حضارية تكاد تنسينا أصولنا وتستلب ثقافتنا الأصيلة وتشوّه قيمنا الغالية. بل مشكلة المشكلات ان عهوداً طويلة من الاستعمار والتخلف خلقت لدى

الإنسان العربي ضرباً من الشعور بالدونية والعجز والانسحاق أمام الغرب، وأننا أحوج ما نكون، كيما ننطلق في عزم وإيمان، الى أن نستعيد هويتنا الضائعة وثقتنا المهزوزة.

ولا يفهمن من قولنا أننا نقلل من شأن التقدم العلمي والفني والتكنولوجي، ان هذا التقدم شئنا أم ابينا روح العصر وقوامه. ولكن كيما نضع هذا التقدم في إطاره الصحيح، وكيما نكون فيه مبدعين لا مستهلكين، وكيما نكيفه وفق حاجاتنا الخاصة، لا بد ان يكون تركيزنا في التربية العلمية والتكنولوجية التي نقدمها، فضلاً عن أنواع التربية الأخرى، على مكان هذا التقدم العلمي التكنولوجي في حضارتنا وحضارة العالم، وعلى اعادة الثقة بقدرتنا على الابداع فيه، وعلى جعل جهدنا وبلائنا في هذا الميدان جزءاً لا يتجزأ من نظرة أشمل الى صيغة الحضارة التي ننشدها.

لقد قيل الكثير عن نهضة اليابان السريعة منذ عصر « ميجي » الشهير عام ١٨٦٨. وظن الكثيرون أنها وليدة البعوث التي أرسلت الى الغرب تسقي من معارفه وتقنياته، وثمرة عطاء الاختصاصيين الغربيين الذين جاءوا الى اليابان للعمل على تطوير صناعاتها. وفي هذا الظن نصف الحقيقة لا الحقيقة كلها. ذلك أن هذه الجهود كلها ما كانت لتثمر لولا ان اكد القانون الملكي الذي صدر حينذاك على أهمية الانطلاق في هذا كله من منطلق الاصالة القومية ومن نظام تربوي يضع المهاد العلمي التكنولوجي اللازم جنباً الى جنب مع عنايته الخاصة بتكوين ارادة العمل القومي.

ان تأكيد الاصالة الذاتية والثقافة الذاتية لا يحول، ولا ينبغي ان يحول، دون التحديث. ولكن التحديث لا يجد طريقه الى الحياة ولا يأخذ مجراه السليم من دون اصالة وعود الى التراث.

ويأخذ هذا القول معناه الأعمق اذا ذكرنا مرة أخرى أن حضارة العالم في أزمة، وعلينا أن نجتنب تقليدها بعد أن آذنت بالخفوت، وأن تفاعل الثقافات وحوار الحضارات على حد تعبير « غارودي » وتضامن الهويات المختلفة للشعوب هي السبيل إلى تصحيحها وتقويمها.

٥ - دور الابداع:

وموقد الأصالة، موقد الذاتية، تفجير الابداع. ومن هنا ترتد المسألة كلها الى البحث عن تربية عربية تغذي الابداع، وتستخرج طاقات الابتكار لدى الإنسان الى أبعد مدى ممكن.

وتعهّد التربية للابداع مطلب ينبغي أن يبدأ منذ نعومة الاظفار ويستمر في مراحل التربية المختلفة. على أن التربية السابقة على المدرسة والتربية في مرحلة التعليم الابتدائي تلعبان الدور الاكبر في رعايته وتفتيقه. أما وسائل ذلك فليس ههنا مجال الحديث عنها. ولعل أهم ما فيها تدريب الطالب على العمل الشخصي والبحث الذاتي المستقل. وافساح المجال أمام أصحاب المواهب الفذة في نظام تربوي لا يعني مع الاسف بالطلاب الذين قد يكونون متوسطي القدرة في مواد مدرسية عديدة، غير أنهم أفذاذ مبدعون في مجال أو مجالين، وتشجيع سائر أشكال الابداع الحر في الانشاء والرسم وسواهما، وتنمية الخيال الخلاق، وتعريف الصغار منذ ميعة الصبا على عالم العلم والتكنولوجيا، واستخراج العقل الذي في أيديهم والذي يفوق العقل الذي في رؤوسهم على حد تعبير غاندي، والافادة من فضائل استخدام الاصابع الخمس، وتنمية روح النقد والتحليل والمناقشة وتكوين القدرة على المبادرة، وغير ذلك كثير. ولا حاجة الى القول إن تنمية البحث العلمي ووسائله، ولا سيما في مرحلة التعليم العالي، جانب هام من جوانب تعهد تربية الابداع هذه. على أنها لا تؤتي ثمارها إلا إذا سبقتها ومهدت لها رعاية لهذه القدرة طويلة ومستمرة منذ الصغر. ولقد خطت التربية الحديثة خطوات كبيرة في طريق تكوين روح الخلق والابداع هذه، إيماناً منها بأن من غير الجائز أن نترك أمر نمو هذه القدرة للصدف وحدها، وانطلاقاً من حقيقة أساسية هي أن الخيال المبدع هو الذي يلعب الدور الاكبر في أي تنمية، ولا سيما في التنمية الصناعية. ومما يقوله « شريبر » نفسه في كتابه القديم عن « التحدي الاميركي »: ان الحرب التي تواجه الدول الاوروبية، أمام التحدي الاميركي، لا تسدد الينا ضرباتها عن طريق الدولار أو البترول أو أطنان الفولاذ، ولا حتى عن طريق الالات الحديثة بل عن طريق الخيال المبدع وموهبة التنظيم ». والقوة الحديثة عنده ثاوية في القدرة على الابتكار.

وكثير من المربين المحدثين اليوم يرون أن من واجبنا التخلي عن المفهوم العقلي والموسوعي الخالص للثقافة، وتبني مفهوم أرهف وأشمل للتربية، قوامه أن ننمي لدى الطفل، إلى جانب تذوق المعارف، القدرة على التغيّر والتغيير والابداع، وأن نتيح له السيطرة على العوامل والشروط الاقتصادية والاجتماعية التي تحيط به كيما يحيا غايات ثقافية مستقلة وكيما يسهم اسهاماً فعالاً في الحوار الفكري والعام. ومما يقوله أحد المربين ان كبت النشاط المبدع لدى الطفل من قبل الاباء والمعلمين هو أولى الامائر الدالة على كبت النشاطات الخلاقة من قبل المجتمع. ولقد ظهرت في السنوات الأخيرة عشرات المؤلفات التي تعنى بمسألة القدرة على الابداع وأساليب تكوينها لدى الاطفال والشبان. وكلها تؤكد أهمية هذه القدرة، وتشير الى أن بذورها قائمة لدى كل طفل، وأن التربية المألوفة هي التي تطفئها غالباً، حتى ليحق لنا أن نتساءل مع القصاص الفرنسي « الكسندر دوما »: كيف يتأتي أن يكون معظم الاطفال على حظ كبير من الذكاء، وأن يكون معظم الراشدين على حظ كبير من الغباء؟ »، وأن نجيب معه على هذا السؤال قائلين: « لا بد أن تكون التربية هي المسؤولة عن ذلك ». ولنقل عابرين، خوفاً من أي لبس، ان هذه القدرة على الابداع لا ترتد الى الذكاء، ولعل الذكاء من دونها أشبه بالثمرة الجافة. انها ملكة تزكو بالرعاية والدربة، وتحمل

وتُتْمِم إذا نحن تعهّدناها، وتغل ثروات فكرية ومادية ليس لانطلاقتها حد. انها الخروج على المألوف، ومجاوزة الاتباع، وركوب طريق المبادرة، وتخيل الطريف المولد، وهجران السنة والنوم، وارتياد المجهول واقتحام المغلق.

ويشط بنا الخيال ان نحن مضينا في الحديث عن هذه القدرة وعن وعودها وآفاقها البعيدة التي حملت شعراءنا العرب على الظن بأن وراء الابداع الشعري روحاً من عبقر الجن. وجملة ما نود أن نصل اليه من وراء هذا كله أن العمل على توليد تربية عربية قادرة على خلق نمط حضاري عربي لا يعني فقط كما يخيل الينا عادة، أن نصب جهودنا على نشر التعليم وتنويعه وتفريعه وتجويد مناهجه وطرائقه، بل يعني أولاً وقبل كل شيء أن نجعل الإنسان الذي يتلقاه قادراً على التفتح الى أبعد مدى وعلى تجاوز ذاته دوماً وأبداً، وعلى تغيير مجتمعه وتجديد مجتمعه من خلال نظرة مبدعة خلاقة وعيناها فأحسنّا رعايتها. أو ليست أزمة التخلف الحضاري في البلاد العربية أزمة ترتد في النهاية الى ضمور الابداع في المجتمع العربي قروناً طويلة من الزمن، بعد انهيار الدولة العربية الإسلامية لأسباب مختلفة، وبعد أن حل محل حرارة الإسلام ووثبته الحضارية الأولى جمود واتباع وتقليد؟ بل أو ليست الوثبة الابداعية التي عرفتها الحضارة العربية الاسلامية والتي تلقفها الغرب هي التي فجّرت بذور الحضارة الغربية كلها؟ أو لم يغادر الغرب، بفضل الحضارة العربية خاصة والحضارة اليونانية الى حد ما أساليب الاتباع والجمود التي عرفوها أيام العهد الوسيط في أوروبا لينطلقوا منذ أيام عصر النهضة نحو حضارة تنضو عنها مخلفات التفكير الاسكلائي الجامد والقياس الارسطالي العقيم، وتجعل من الاستلقاء في أحضان الطبيعة واستكناه أسرارها شعار حياتها، بعد ان كانت الطبيعة وادياً للدموع ومسرحاً للخطيئة؟ بل أو ليست الروح التي عرفت باسم روح « بيكون » والتي فجرت الحضارة الغربية الحديثة هي في حقيقة الامر روح الحضارة العربية الإسلامية سرت الى الغرب وانتشرت في شعابه؟

وغنيّ عن البيان أن العمل على توليد تربية عربية قوامها الإبداع يستلزم خطة كاملة متكاملة تتناول شتى جوانب التربية وأنواعها، وتعيد النظر في طرائقها ومحتواها وأساليبها، بل حتى في بنيتها وإطارها، بحيث تنبت روح الإبداع والابتكار في كل مقوم من مقومات العمل التربوي على نحو تآخذ مترابط، وبحيث نلفيها في الإدارة التربوية وإعداد المعلمين والمناهج المدرسية والوسائل التعليمية والامتحانات والتقويم، بل حتى في الأبنية المدرسية والتجهيزات التربوية. بل بحيث نجدها حالّة في التربية غير النظامية بأشكالها المختلفة، وفي المدرسة الموازية، وفي وسائل الاتصال الجماعية، وفي التربية المستمرة، وفي أنماط التدريب المختلفة في مواقع العمل والإنتاج، وسوى ذلك كثير.

خاتمة

وبعد، لعلنا ندرك في خاتمة هذا الحديث أن الجهد العربي الذي نرجوه لتوليد نظرة عربية خاصة قادرة على تجنيبنا مخاطر الازمة العالمية وعلى تمكيننا من الاسهام في بناء الكيان العالمي الجديد، جهد لا بد أن ينطلق أولا من التربية، ومن تربية مبدعة خلاقة. وقد لا نقوى اليوم على تحديد سائر معالم تلك النظرة الحضارية العربية الخاصة، لانها في نظرنا بناء لا اكتشاف. انها بناء نشيده من خلال عمل طويل النفس نسلطه على التربية خاصةً لنجعل منها طاقة جديدة تفجر قوى الإنسان العربي وتقده قداً جديداً مبتكراً. وعند ذلك. عندما يعي الانسان العربي ذاته ومجتمعه وتراثه والعالم من حوله. وعندما يغدو مزوداً بالخيال الجموح الذي يستشرف رؤى المستقبل، وعندما ينطلق لديه مارد النقد والمبادرة والعطاء الأصيل، لا بد أن يصبح قادراً على صياغة نظرته الجديدة الى العالم وشخصيته العربية الحديثة.

إن الرؤية الحضارية العربية رؤية أهم صفاتها أنها أصيلة مبتكرة، ولن يتأتى لها ذلك إلا إذا هي تكونت عبر حوار خصيب، تغذيه عقول مبدعة خلاقة. ذلك أن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن الخُلف أن نستطيع الادلاء بدلونا في حلبة التجربة العالمية إذا نحن لم نتمثل هذه التجربة تمثلاً ذاتياً واذا نحن لم نتجاوزها من خلال ما نكتسبه من قدرات خلاقة. إن الماضي والتراث معين غزير علينا أن نتمثله ونهضمه من أجل استهدائه وتجاوزه معاً، ومثلها الحاضر، الحاضر العالمي والحاضر العربي، علينا أن ندركه من خلال نظرة تسقيه وتتجاوزه في آن واحد. وهذا كله لا يتم إلا من خلال تربية تخلق روح النقد والخيال والتساؤل والإبداع.

المسألة اذن ليست مسألة وعظ وارشاد. ليست أن نبين للفتى العربي والطالب العربي ما عليه أن يفعل. انها تزويده فعلا بالقدرة على الفعل، أي بالقدرة على المبادرة والتغيير والابداع. والمسألة ليست كذلك أن نضع للتربية أجمل الأهداف، بل أن نقلب تلك الاهداف الى أنماط سلوكية، كما يقول المربون. والمسألة فوق هذا وقبل هذا ليست أن نكوّن العالم والمهني والفني والمؤرخ والمربي وعالم الاجتماع ومن إليهم، بل إن نكوّن لدى هؤلاء جميعاً القدرة على الابداع المستمر والقدرة على تجاوز ما شدأوا من علوم وفنون تجاوزاً متعاظماً نامياً مجدداً.

ان الحدود التي تقف أمام النمو الاقتصادي والاجتماعي، لا يتجاوزها الا ما تحمله قدرة الإنسان على التعلم والابتكار من امكانات لا حد لها. وأمام قولنا إن للنمو الاقتصادي حدوداً ينبغي أن نضع قولاً مقابلاً: لا حد للتعلم. وفي تراثنا العربي الإسلامي: « يظل المر عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل ». وفي الحديث الشريف: « منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال » والتعلم في أحدث معانيه يعني العملية التي تهيء الإنسان لمواجهة مواقف جديدة.

تلك عندنا أمهات الشروط للنهضة التربوية العربية التي تمهد السبيل لولادة حضارة عربية قادرة على الإجابة على التحديات التي تواجه البلدان العربية وعلى الاسهام في حل الازمة الحضارية العالمية.

لقد زال إلى غير رجعة ذلك الحين من الدهر الذي كان يخيل إلينا فيه أن التربية دوماً وأبداً أداة التقدم ووسيلته. فالتربية التي تؤدي إلى التقدم ليست أي نوع من التربية، بل لا بد أن تشتمل في واقعها وممارستها على الشروط اللازمة للتقدم. وان لم نفعل كانت التربية عبءاً قبل أن تكون عوناً، وكانت أداة لتخريج أدعياء الثقافة وهم أخطر من فاقديها، وقادت لا محالة الى مجانبة أهداف التنمية والتقدم بل السير في عكس اتجاهها.

وغني عن البيان أن هذا الجهد التربوي الأصيل الذي نطمح إليه ليكون الموقد الحي لتفجير حضارة عربية أصيلة، لا بد أن تواكبه جهود متممة له في شتى جوانب الحياة العربية، ولا بد أن ترفده خاصة محاولات فكرية تنظيرية، يسوقها الصفوة من مفكري العرب، من أجل التوليد التدريجي لمعالم نظرية عربية حضارية، تسقي سماتها من ينابيع التراث والقيم العربية الإسلامية، ومن معين الحاضر العربي، ومن حصاد التجربة العالمية، وتخلق من لقاء هذه العناصر جميعها مركباً ذاتياً فريداً ورؤية مستقبلية قادرة على أن تحرّك الوجود العربي، وعلى أن تعبىء الإرادة القومية لأبنائه. أو ليس من الصحيح القول، تأسّياً بأحد الكتاب الإنكليز، أن الطاقة القومية لأي شعب تتجلى في الثروة البشرية وقد تفاعلت الثروة الطبيعية، وضربت بعد ذلك بالإرادة القومية التي تحركها رؤية متكاملة تلتف حولها الجهود وتتحلق كما يتحلق الفراش حول النور؟

على أن البحث في شروط تلك الجهود التنظيرية ومنطلقاتها الأساسية وأساليب تعبئتها، يخرج عن إطار هذا الحديث. يضاف الى هذا أن العمل التربوي الذي أشرنا إليه وتريثنا عنده عن قصد هو العمل الراقي الموصول الذي يجعل الجهود في سائر المجالات تنطلق سهواً رهواً عفو الخاطر، وهو الخليق بأن يحفر طريق الحضارة المنشودة في عمق وثبات، وهو الشرط اللازب، وإن لم يكن كافياً، لتوليد الصيغة الحية للنظرية الحضارية العربية، من خلال المعاناة والتجديد والابتكار المستمر.

ان الطاقة العربية طاقة كبيرة ولكنها حبيسة ضمور الإنسان العربي وركوده. وما نجده من تخلف في شتى ميادين حياتنا، الزراعية منها والصناعية والعلمية والتكنولوجية، وليد هذا الضمور وذلك الركود. كل شيء في امكاناتنا المادية والبشرية يشير الى أن المتوقع والمأمول أن نكون أفضل حالاً مما نحن عليه. فهل نملك حقاً تلك الامكانات؟ الراجح اننا لا نملكها لاننا لا نملك القدرة على استغلالها أوسع استغلال ممكن، ولأننا لم نحسن تكوين الإنسان القادر على ذلك. ومع ذلك ما نزال نتابع السير نحو سراب هارب، فنجهد ونجهد لنقل العلم والتكنولوجيا وأدواتها دون أن نكوّن القدرة الذاتية على ابداعها، وننسى وسط الزحام محور المحاور وقطب الرحى، نعني الإنسان المبدع المجدد.

من أعماق ذلك الإنسان ينبغي أن نمتاح القدرة والغنى، ومن تفجير طاقاته، ينبغي أن نرتاد الطريق الجَدَد، ومن ايقاظه بعد سبات وتعريفه بذاته وتراثه وعالمه نرجو توليد رؤية عربية أصيلة قمينة بأن نحاور العالم من خلالها.

باريس

★★★★★★

مؤلفــات

حنــا مينه

من منشورات دار الآداب

□ **الشراع والعاصفة**	رواية
□ **المصابيح الزرق**	»
□ **الثلج يأتي من النافذة**	»
□ **الشمس في يوم غائم**	»
□ **بقــايا صور**	»
□ **المستنقــع**	»
□ **المرصد**	»
□ **حكاية بحــار**	»
□ **الابنوسة البيضاء**	(قصص)
□ **ناظم حكمت : السجن ، المرأة ، الحياة**	
□ **ناظم حكمت ثائراً**	